بحوث نفسية ميدانية عيناتها ذات أحجام صغيرة

البشير معمرية - أستاذ علم النفس، الجزائر
أستاذ القياس النفسي ومناهج البحث النفسي (سابقا)
جامعتا الحاج لخضر.باتنة، ومحمد الأمين دباغين.سطيف
bashirmaamria2015@gmail.com

البحث النفسي الميداني والمعاينة

هناك بحوث يتم انتقادها بشدة، ويتم إبراز نقصها وعيبها، ويقترح رفضها وعدم نشرها، خاصة من المحكّمين، والباحثين قليلي الخبرة بتوجهات البحث العلمي وأهدافه، ومقاصده، و أقصد تلك البحوث الميدانية القياسية (السيكومترية) التي تجرى على عينات صغيرة العدد. وحجة الناقدين، أو مبرر النقد الذي يوجهونه إلى هذه البحوث، والعيب الذي يشهرونه عليها، أن العينة ما دامت صغيرة العدد، فإن نتائجها ضعيفة، ولا قيمة لها ولا فائدة منها، وبالتالي فهي غير قابلة للتعميم على المجتمع (الأصل العام) الذي سُحِبت منه العينة. هناك جانب من هذا الكلام، معقول جدا، لأنه لكونها عينة، والعينة هي "جزء من كل"، وهذا تعريف شكلي عام، أما تعريف العينة في مجال البحث العلمي، فهي: "جزء من المجتمع يتم سحبه بطريقة موضوعية، يجرى البحث على ذلك الجزء، ثم يصدر الحكم على المجتمع محل البحث.". ويجرى البحث على عينة، لاستحالة إجرائه على المجتمع كله، لأنه كبير العدد، وفي النهاية، ينبغي أن تعمم نتيجة البحث على المجتمع لأنه هو المستهدف بالبحث، وما العينة إلا وسيلة لذلك، هذا الكلام كله سليم جدا. ومعمول به، كذلك، في كثير من الممارسات في مجالات الحياة المختلفة.

إليكم بعض الأمثلة.

1. عند إجراء تحاليل طبية، يسحب المحلل الطبي قطرة صغيرة من دم المريض، والنتيجة التي يتحصل عليها بعد تحليل تلك القطرة الصغيرة من الدم، يعممها على دم المريض كله، وبثقة تامة.
2. وعند قيام سيدة بإعداد طعام، ومهما كانت كميته، فإن تذوقها لجزء صغير منه (نصف ملعقة)، يجعلها تعرف مدى نضجه، ومدى جودته، وتعمم تلك المعرفة على ما في إناء الطبخ كله.
3. ذكر جوردون ألبورت G. Allport، في كتابه عن: طبيعة التعصب، أنه: "إذا حصل الناس على مجموعة من الحقائق ولو ضئيلة، فإنهم يندفعون إلى تكوين تعميمات كبيرة". والمقصود بهذه العبارة، هو أنه، على سبيل المثال، إذا عرف الناس أن شخصا تعرض لمعاملة طيبة من شخص ينتمي إلى جماعة معينة، فإنهم سوف يعممون خاصية الطيبة على كل أفراد الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الشخص الطيب. وإذا عرفوا أن شخصا آخر تعرض لمعاملة سيئة من شخص ينتمي إلى جماعة معينة، فإنهم سوف يعممون خاصية السوء على كل أفراد الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الشخص المسيء. (ورغم أن هذا المثال، لا علاقة له بالموضوع الذي أكتب عنه في هذا المقال، إلا أنه يشرح بطريقة جيدة عملية التعميم المبالغ فيها من الجزء إلى الكل، دون الانتباه إلى الفروق الفردية داخل تلك الجماعات).

وأمثلة أخرى كثيرة من مجالات الحياة المختلفة.

لكنه في مجال البحث العلمي النفسي، لا يؤخذ به هكذا على الإطلاق.

هناك بحوث يتم انتقادها بشدة، ويتم إبراز نقصها وعيبها، ويقترح رفضها وعدم نشرها، خاصة من المحكّمين

وحجة الناقدين، أو مبرر النقد الذي يوجهونه إلى هذه البحوث، والعيب الذي يشهرونه عليها، أن العينة ما دامت صغيرة العدد، فإن نتائجها ضعيفة، ولا قيمة لها ولا فائدة منها، وبالتالي فهي غير قابلة للتعميم على المجتمع (الأصل العام) الذي سُحِبت منه العينة

في النهاية، ينبغي أن تعمم نتيجة البحث على المجتمع لأنه هو المستهدف بالبحث، وما العينة إلا وسيلة لذلك،

إذا سلمنا أنه من الضروري تعميم نتائج البحث على الأصل العام الذي سُحِبت منه العينة، هل يمكن أن يتحقق ذلك بثقة تامة ؟

وصل الباحث إلى أن سبب تبول الطفل (الأول عند والديه)

إن تعميم نتائج بحث على الأصل العام ليس عملية بسيطة بل معقدة جدا

وإذا سلمنا أنّ من الضروري تعميم نتائج البحث على الأصل العام الذي سُحبت منه العينة، هل يمكن أن يتحقق ذلك بثقة تامة ؟

إليكم الأمثلة الآتية. وهي عبارة عن مشكلات للتفكير.

1. حجم العينة فرد واحد.

توصل الباحث إلى أن سبب تبول الطفل (الأول عند والديه) لاإراديا هو غيرته من أخته الصغرى الرضيعة التي شعر أن لها مكانة عند والدتهما أفضل منه، في هذه الحالة، هل يمكن تعميم هذه النتيجة على أطفال أو ائل آخرين يتبولون لاإراديا، ولهم أخوات صغيرات رضيعات ؟

2. حجم العينة تلميذان.

تلميذان يدرسان معا في فوج دراسي نفسه، أحدهما نجح في عامه الدراسي، والآخر رسب في عامه الدراسي. تبيّن من البحث أن التلميذ الناجح كان يذاكر دروسه مدة ساعتين إلى أربع ساعات يوميا، أما التلميذ الراسب فكان يذاكر دروسه مدة ساعة إلى ساعتين يوميا. في هذه الحالة، هل يمكن تعميم هذه النتيجة فيما يتعلق بأسباب النجاح وأسباب الرسوب في المدرسة على تلاميذ آخرين وفق عدد الساعات التي يخصصونها يوميا لمذاكرة دروسهم ؟

3. حجم العينة بالآلاف.

توصل باحث (أوباحثون) إلى أن الإناث أكثر سعادة من الذكور، في بحث ميداني أجري على عينة تتكوّن من 3000 فرد من الذكوروالإناث البالغين بمدينة باتنة. هل يمكن تعميم هذه النتيجة على كل سكان مدينة باتنة البالغين، بأن كل الإناث في مدينة باتنة أكثر شعورا بالسعادة مقارنة بالذكور؟

إليكم الحقائق الآتية.

1. لا يجرى التعميم من العينة إلى المجتمع بهذه السرعة ومن دراسة واحدة.
2. لإجراء تعميم محل ثقة، ينبغي أن تكون العينة ممثلة لأصلها العام.
3. لكي يحقق الباحث شرط التمثيل، عليه أن يحلل خصائص مجتمع البحث تحليلا دقيقا، حتى يتسنى له سحب عينة تمثل تلك الخصائص، بأكبر درجة من الثقة.
4. هناك حقيقة منهجية تقول: لا يمكن تحقيق شرط تمثيل العينة لأصلها العام، أبدا.
5. وهناك حقيقة منهجية أخرى، تقول: لا يمكن تحقيق التعميم من العينة إلى المجتمع أبدا.
6. وهناك حقيقة أخرى تقول: ليس هناك كذبة أكثر خطورة من الادعاء بأن نتائج البحث على عينة ممثلة لمجتمعها تعكس ما يتصف به ذلك المجتمع.

علماء النفس الأو ائل وعينات بحوثهم

صحيح، أن العينة تعدّ من العناصر المهمة في البحوث الميدانية، لكن حجمها لم يكن ذا أهمية بالنسبة للعلماء الذي أسسوا علم النفس.

إن العلماء الذين أسسوا علم النفس، ابتداء من فلهلم فندت (1879)، لم يكونوا يهتمون بأحجام عينات بحوثهم، ولم يكونوا يهتمون بتعميم نتائج بحوثهم على الأصول العامة، ولم يكونوا يذكرون الأصول العامة لبحوثهم ولا أحجام العينات، بل كانوا يهتمون، أساسا، (1) بالمفاهيم التي يبحثونها. (2) وبالفرضيات وبناء النظريات. (3) وبخصائص العينات، (4) وبطرق جمع البيانات من العينات، (5) وبمناهج البحث. وبنوا نظريات عملاقة في علم النفس، على عينات تتراوح بين فرد واحد إلى مئات من

لاإراديا هو غيرته من أخته الصغرى الرضيعة التي شعر أن لها مكانة عند والدتهما أفضل منه

لإجراء تعميم محل ثقة، ينبغي أن تكون العينة ممثلة لأصلها العام

لكي يحقق الباحث شرط التمثيل، عليه أن يحلل خصائص مجتمع البحث تحليلا دقيقا، حتى يتسنى له سحب عينة تمثل تلك الخصائص، بأكبر درجة من الثقة

هناك حقيقة أخرى تقول: ليس هناك كذبة أكثر خطورة من الادعاء بأن نتائج البحث على عينة ممثلة لمجتمعها تعكس ما يتصف به ذلك المجتمع

لعلم فندت، لم يذكر عدد أفراد العينة في بحوثه التجريبية، بل ذكر أنهم راشدون وأسوياء، فقط، وفي الأخير قدم نتائج بحثه عن تحليل الخبرة الشعورية

ماكس فرتهيمر في بنائه لنظرية الجشطلت، لم يستعمل أي عينة، بل أسس نظريته على ما لاحظه لظاهرة فاي (الحركة الظاهرة) من مقعده وهو مسافر في قطار

بنى إدوارد ل. ثورندايك نظريته في التعلم بالمحاولة والخطأ بتجارب عديدة على قط

الأفراد. كما بنوا نظريات في علم النفس البشري من خلال بحوث أجروها على حيوانات. وهم كما يأتي.

1. فلهلم فندت، لم يذكر عدد أفراد العينة في بحوثه التجريبية، بل ذكر أنهم راشدون وأسوياء، فقط، وفي الأخير قدم نتائج بحثه عن تحليل الخبرة الشعورية، فتعرف على عناصرها، التي هي موضوعات البحث في علم النفس اليوم، وهي: المعرفة والوجدان والنزوع.

2. ماكس فرتهيمر في بنائه لنظرية الجشطلت، لم يستعمل أي عينة، بل أسس نظريته على ما لاحظه لظاهرة فاي (الحركة الظاهرة) من مقعده وهو مسافر في قطار، قاصدا مدينة فرانكفورت الألمانية، ولما وصل إلى فرنكفورت، أجرى تجارب على هذه الظاهرة بمفرده، في غرفته في الفندق. ونشر ورقة بحث (1912) اعتبرت كبداية لظهور مدرسة الجشطلت في علم النفس.

3. هرمان إبنجهاوس بنى نظريته البسيطة والشهيرة في الوقت نفسه، في الذاكرة والتذكر والنسيان، باستعمال نفسه عينة (كان هو الجرِّب والمجرَّب عليه، في الوقت نفسه).

4. أسس جون ب. واطسن السلوكية، كمدرسة وكنظرية، بإجراء تجربة على طفل واحد (ألبرت) وفأر، واستعمل عمودا ومطرقة حديديين.

5. بنى إدوارد ل. ثورندايك نظريته في التعلم بالمحاولة والخطأ بتجارب عديدة على قط.

6. بنى ب. ف. سكينر نظريته في الارتباط الشرطي الإجرائي بتجاربه المتواصلة على الفئران، ثم على الحمام.

7. بنى ف. كهلر نظريته في التعلم بالاستبصار (الفهم المفاجئ) في إطار نظرية الجشطلت، بتجاربه على القردة من النوع الشمبانزي أثناء احتجازه في جزر الكناري من قبل جيش الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الأولى (1914. 1917)، لأنه مواطن ألماني.

8. بدأ هـ. ج. أيزنك التأسيس لبناء نظريته في أبعاد الشخصية، بإجراء بحوثه على 700 جندي بريطاني عادوا من الحرب العالمية الثانية منهارين نفسيا وعصبيا (وفق تشخيصات الأطباء النفسيين لهؤلاء الجنود)، وقارن حالاتهم بمثلهم من طلاب الجامعة في لندن، يمثلون عينة الأسوياء (فأسس منهج جماعات المحك).

9. بنى أبراهام ماسلو نظريته في "دافع تحقيق الذات" على 49 فردا، لم يلتق بالكثير منهم، لأنهم كانوا ميّتين. وتلقى انتقادا، ليس لأن عينة بحثه صغيرة، بل لأنها عينة متحيزة لصالح خاصية "تحقيق الذات". فقد كان أفراد العينة كلهم ممن حققوا ذواتهم (أي نجحوا وتفوقوا). فعلى سبيل المثال، لو صمم باحث في القياس النفسي مقياسا لقياس الاكتئاب، وقدمه لأشخاص تم تشخيصهم كمكتئبين، فإن المقياس سيبينهم أيضا مكتئبين، يعني: تحصيل الحاصل. وهذا ما كان موضع انتقاد في بحث ماسلو. لأن الناجحين والمتفوقين، من المؤكد أن يكون لديهم دافع تحقيق الذات مرتفعا.

10. كانت عينات بياجي أعدادا صغيرة أو كبيرة من أطفال مدينة جنيف (لم يذكر عددهم)، كان يلتقي بهم في ساحات لعبهم، ويجلس بقربهم وهم يلعبون، فيلاحظ كيف يتصرفون وكيف يتحدثون، ويسجل ما يلاحظه، كما كان يحاورهم ليتعرف على طرق تفكيرهم، واستمر في هذا العمل لمدة خمسين سنة، فبنى نظرية عملاقة. لم يذكر عدد الأطفال الذين كانوا عينات بحثه، ولم يذكر مجتمعهم الأصلي، ولم يحدث أن انتقده أحد في أحجام عينات بحوثه.

11. بنى دافيد ماكليلاند وزملاؤه نظريته في الدافع إلى الإنجاز بأربع بطاقات من الاختبارات الإسقاطية ومجموعة صغيرة من الأفراد كعينات تجريبية.

12. بنى جوردون البورت نظريته في سمات الشخصية، ولم يستعمل أي عينة، ولم يجر أي بحث ميداني.

هذه أمثلة قليلة من مئات من البحوث الناجحة في علم النفس، بل هذه البحوث هي التي صنعت علم النفس كعلم إنساني قوي قائم بذاته، لم يهتم الكثير فيها بالعينات وبأحجامها، وبتعميم نتائجها، بل

بنى ب. ف. سكينر نظريته في الارتباط الشرطي الإجرائي بتجاربه المتواصلة على الفئران، ثم على الحمام

بدأ هـ. ج. أيزنك التأسيس لبناء نظريته في أبعاد الشخصية، بإجراء بحوثه على 700 جندي بريطاني عادوا من الحرب العالمية الثانية منهارين نفسيا وعصبيا

بنى أبراهام ماسلو نظريته في "دافع تحقيق الذات" على 49 فردا، لم يلتق بالكثير منهم، لأنهم كانوا ميّتين

كانت عينات بياجي أعدادا صغيرة أو كبيرة من أطفال مدينة جنيف (لم يذكر عددهم)، كان يلتقي بهم في ساحات لعبهم، ويجلس بقربهم وهم يلعبون، فيلاحظ كيف يتصرفون وكيف يتحدثون

بنى دافيد ماكليلاند وزملاؤه نظريته في الدافع إلى الإنجاز بأربع بطاقات من الاختبارات الإسقاطية ومجموعة صغيرة من الأفراد كعينات تجريبية

بنى جوردون البورت نظريته في سمات الشخصية، ولم يستعمل أي عينة، ولم يجر أي بحث ميداني

لماذا يمكن التعميم على خصائص الدم وعلى خصائص الطعام ولا يمكن التعميم على خصائص

كان مجال الاهتمام هو تحديد مفهوم البحث بدقة وإجراء البحث بمنهجية علمية صحيحة صارمة، وإجراء عدة بحوث لمشكلة واحدة، ولسنوات أو لعقود من الزمن، دون كلل أو ملل.

لماذا يمكن التعميم على خصائص الدم وعلى خصائص الطعام ولا يمكن التعميم على خصائص البشر؟

ينبغي الإجابة عن هذا السؤال بطريقة حاسمة.

تابعوا بالقراءة ما يأتي.

إن السبب في الذي حدث، في عملية التعميم، بين الدم والطعام من ناحية والبشر من ناحية أخرى، هو توفر خاصية التجانس في كل من الدم والطعام، وغير متوفرة لدى البشر. والمقصود بالتجانس، هو تشابه وتماثل الشيء في خصائصه، إن طبيعة الدم واحدة وخصائصه متشابهة، والشيء نفسه بالنسبة للطعام، وعكس التجانس هو التباين أو الاختلاف أو الفرق. وعندما يتحقق التجانس يمكن عندئذ تعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام بكل ثقة.

أما بالنسبة للبشر، فإن التجانس في خصائصهم لا يتحقق أبدا، وبصورة مطلقة.

مثال: لنفرض أن باحثا بذل جهدا مثمرا فجمع 100 طفل ولدوا كلهم في اليوم الأول من شهر يناير، وكان عمرهم عندما جمعهم 10 سنوات زمنية. إن هؤلاء الأطفال متجانسون في العمر بنسبة تصل إلى حوالي 90 %، أو أكثر قليلا، وليسوا متجانسين بنسبة 100 %، لأن مدة اليوم 24 ساعة، وبالتالي فالطفل الذي غادر رحم أمه في منتصف الليل، سوف يكون أكبر من الأطفال الذين ولدوا بعده إلى غاية منتصف النهار. فقد تعرض كل طفل تباعا لتأثيرين بيئيين وفترات زمنية متتابعة ومتباعدة بالتوالي، وهما: (1) استنشاقه للأكسجين وتغذية خلايا مخه به. (2) تغذيته بحليب أمه مباشرة. (3) تعرضه لمثيرات جسدية عديدة، كاللباس والحمل والهواء والأصوات وغيرها، وهذا ما يؤدي إلى ظهور تباين بينهم، ولكنه تباين بسيط، يمكن تجاوزه، ومن ثم تعميم نتائج البحث، إذا تم إجراؤه على 30 طفل منهم (كعينة). لكن هناك جوانب أخرى هامة كخصائص بشرية لهؤلاء الأطفال تجعلهم غير متجانسين، وقد بلغوا 10 سنوات زمنية من أعمارهم.

1. من ناحية الجسم والحركة. ينظر الباحث إليهم فيجد بينهم فروقا (تباين) في خاصية الطول، وفي خاصية الحجم والكتلة والبدانة. وإذا أخضعهم للمسابقة في العدْو، سيجد بينهم فروقا (تباين) في السرعة... وهكذا.

2. من ناحية النشاط العقلي. إذا قام الباحث في قياس بعض العمليات العقلية لديهم، كالذكاء، والذاكرة، والتفكير.... وغيرها، سيجد بينهم فروقا (تباين) في هذه العمليات المعرفية.

3. من ناحية الاستجابات الوجدانية. يختبر الباحث لديهم طرق استجاباتهم الوجدانية، كالشجاعة، والغضب، والخوف... وبعض الاستجابات الاجتماعية، كالتعاون والمساعدة والطاعة والعناد... سيجد بينهم كذلك فروقا (تباين) في السلوك الانفعالي والسلوك الاجتماعي.

4. من ناحية سمات الشخصية. يختبر الباحث لديهم طرق استجاباتهم الشخصية، كالسيطرة والخضوع، والانطواء والانبساط، والتعاون والأنانية، والشجاعة والجبن..... سيجد بينهم كذلك فروقا (تباين) في سمات الشخصية.

5. من ناحية النزوع والنشاط. يختبرهم الباحث في خصائص سلوكية كالإرادة والجدية والمثابرة والدافعية.... سيجد بينهم فروقا (تباين) في هذه الأنشطة النزوعية.

6. أضف إلى ذلك تأثير البيئات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية التي تربوا في وسطها، سوف تترك آثارا قوية ومتباينة عليهم، مما يتسبب في ظهور فروق بينهم في الجوانب العقلية والوجدانية والنزوعية. لأن الأوضاع والظروف البيئية التي نشأ فيها هؤلاء الأطفال لا تكون متشابهة: فهناك الفقير وهناك الغني، وهناك يتيم الأبوين ويتيم الأب فقط ويتيم الأم فقط، وهناك من تفككت أسرته، وهناك من تلقى تربية متسامحة ومن تلقى تربية ضابطة، وهناك من هو الأول أو الوحيد عند والديه، وهناك من هو الأخير عند

البشر؟

إن طبيعة الدم واحدة وخصائصه متشابهة، والشيء نفسه بالنسبة للطعام، وعكس التجانس هو التباين أو الاختلاف أو الفرق. وعندما يتحقق التجانس يمكن عندئذ تعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام بكل ثقة.

أما بالنسبة للبشر، فإن التجانس في خصائصهم لا يتحقق أبدا، وبصورة مطلقة

بسبب كثرة هذه العوامل التي لا يمكن تحديدها كلها، لنفرض أنه تم إجراء بحث على عينة من هؤلاء الأطفال (حجمها 30 طفلا) في متغير "تقدير الذات"، فإنه من الصعب الثقة في تعميم نتيجة البحث على البقية من الأطفال (70 طفلا) وعلى أطفال آخرين في نفس العمر الزمني

إذا كانت أحجام العينات في البحوث النفسية الميدانية، ليست ذات أهمية كبيرة في تقييم جودة البحث، وليست ذات أهمية كبيرة في صناعة العلم وتطويره، فما هو البديل ؟

لكن علماء المنهجية العلمية، رغم تأكيدهم بضرورة أن تكون العينة ممثلة، إلا أنهم يقولون بعد ذلك إن التمثيل يكاد أن يكون مستحيلا، وما هو الحل ؟

والدية، وهناك من تعرض لصدمات في مراحلة المبكرة من العمر، وهناك من تعرض لمرض وشفي منة..... وغيرها من المؤثرات التي سوف تترك آثارها على الشخصية والسلوك.

وبسبب كثرة هذه العوامل التي لا يمكن تحديدها كلها، لنفرض أنة تم إجراء بحث على عينة من هؤلاء الأطفال (حجمها 30 طفلا) في متغير "تقدير الذات"، فإنة من الصعب الثقة في تعميم نتيجة البحث على البقية من الأطفال (70 طفلا) وعلى أطفال آخرين في نفس العمر الزمني.

في البحوث النفسية الميدانية هناك ما هو أهم من العينات وأحجامها.

إذا كانت أحجام العينات في البحوث النفسية الميدانية، ليست ذات أهمية كبيرة في تقييم جودة البحث، وليست ذات أهمية كبيرة في صناعة العلم وتطويره، فما هو البديل ؟

إليكم البديل المهم والهام بالنسبة لنمو العلم وجودتة وتطوره واكتسابة المصداقية والثقة.

1. كان الباحثون على اختلاف توجهاتهم وعقائدهم العلمية، يهتمون أولا، بالمفهوم الذي ينوون بحثة. لو نسأل أي باحث في العلم، وأي علم، السؤالين التاليين: (1) ماذا يبحث العلم؟ (2) ما لغة العلم ؟ سيجيب، بأنة: المفهوم أو المفاهيم.

2. كان الباحثون المجربون من علماء النفس، يراقبون مدى اتساق نتائج تجاربهم مع فرضيات نظرياتهم،

3. كان الباحثون غير المجربين من علماء النفس، الذين يستعملون القياس النفسي، يراقبون مدى اتساق نتائج قياساتهم مع فرضيات نظرياتهم.

4. أما العينة، فمن ناحية يتم سحبها وفقا لهدف البحث، ومن ناحية أخرى، يسعى الباحثون إلى أن تكون ممثلة لأصلها العام، ولكن علماء المنهجية العلمية، رغم تأكيدهم بضرورة أن تكون العينة ممثلة، إلا أنهم يقولون بعد ذلك إن التمثيل يكاد أن يكون مستحيلا، وما هو الحل ؟ إن الحل هو: إجراء بحوث كثيرة على المشكلة، للحصول على بعض الاطمئنان بأن النتائج لها مصداقية ومحل ثقة. إن العلم لا تصنعة دراسة واحدة.

اتساق نتائج البحث مع نتائج بحوث أخرى في نفس المشكلة محل البحث.

أما البديل الجيد عن التعميم، فهو ما يأتي.

1. كان العلماء الباحثون الذي أسسوا علم النفس بجميع فروعة الدقيقة، يقيّمون نتائج بحوثهم من خلال مدى اتساقها و اتفاقها مع نتائج بحوث أخرى أجريت على نفس المتغير أو على نفس المشكلة، في أي زمان وفي أي مكان. وهذا هو المهم، وهذا ما يمنح القوة والمصداقية لنتائج البحث وليس حجم العينة، وبغض النظر عن كون عينات البحث تمثل مجتمعاتها أو لا، وحتى عندما يكون المفحوصون ليسوا من البشر. إن نتائج البحوث التي تتسق وتتفق فيما بينها بغض النظر عن أي شيء آخر، تدعم بعضها، مما يجعل بالإمكان وضع الخطوات الأولى للسير نحو التنظير. (بنى بافلوف نظريتة في التعلم بالارتباط الشرطي الاستجابي، مستعملا الكلب كعينة، وبنى واطسن النظرية السلوكية بالارتباط الشرطي الاستجابي، مستعملا الطفل ألبرت).

2. إن بناء نظرية علمية قوية هي التي تفتح الطريق أمام التعميم عند تدعيم ذلك بإجراء بحوث تطبيقية. كما حدث لدى ماري كوفر جونز (1924) حين عالجت الطفل بيتر من خوفة من الأرانب. وكما فعل وولب بإبداعة للعلاج السلوكي للقلق والخوف، بأسلوب إزالة الحساسية المتدرجة (1958).

3. إن العلم لا ينمو بتعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام، بل ينمو من خلال اتفاق دراسات عديدة في نتائجها على عينات مختلفة في الزمان والمكان.

4. إن سر نجاح علماء النفس الأوائل، أنهم بدؤوا بحوثهم بعينات صغيرة، من البشر، ومن الحيوانات، لكنهم واصلوا البحث في نفس الموضوعات التي بدؤوها، فبنوا صروحا لنظريات علمية راقية وجيدة، كانت محل ثقة لتعميم نتائجها على بشر آخرين لم يكونوا ضمن عينات ومجتمعات بحوثهم.

الحل هو: إجراء بحوث كثيرة على المشكلة، للحصول على بعض الاطمئنان بأن النتائج لها مصداقية ومحل ثقة. إن العلم لا تصنعه دراسة واحدة

كان العلماء الباحثون الذي أسسوا علم النفس بجميع فروعه الدقيقة، يقيّمون نتائج بحوثهم من خلال مدى اتساقها واتفاقها مع نتائج بحوث أخرى أجريت على نفس المتغير أو على نفس المشكلة، في أي زمان وفي أي مكان. وهذا هو المهم، وهذا ما يمنح القوة والمصداقية لنتائج البحث وليس حجم العينة

إن نتائج البحوث التي تتسق وتتفق فيما بينها بغض النظر عن أي شيء آخر، تدعم بعضها، مما يجعل بالإمكان وضع الخطوات الأولى للسير نحو التنظير

إن بناء نظرية علمية قوية هي التي تفتح الطريق أمام التعميم عند تدعيم ذلك بإجراء بحوث تطبيقية

إن العلم لا ينمو بتعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام، بل ينمو من خلال اتفاق دراسات عديدة في نتائجها على عينات مختلفة في الزمان والمكان

إن سر نجاح علماء النفس الأوائل، أنهم بدؤوا بحوثهم بعينات صغيرة، من البشر، ومن الحيوانات، لكنهم واصلوا البحث

5. إن الرأي السديد في مجال البحث العلمي، هو أن يستمر الباحث في دراسة مشكلة واحدة، ببحوث كثيرة متواترة، يضيف نتائجها إلى بعضها البعض، أفضل من إجراء بحث واحد عينة بالآلاف. فالطريقة الأولى تبني علما محل ثقة، أما الطريقة الثانية فتسبب تعبا وإرهاقا، وربما لا شيء بعد ذلك.

عملية التعميم ومناهج البحث النفسي.

وأحسم الأمر هنا، فأقول: إن عملية التعميم التي ينشغل بها الباحثون في علم النفس، ويتحدثون عنها باهتمام شديد، لا تتعلق بكل أنواع مناهج البحث النفسي، بل بالمنهج التجريبي فقط. الذي تكون تصميماته التجريبية صارمة.

وأحسم الأمر أيضا للمرة الثانية، فأقول: لكي يستطيع الباحث تعميم نتائج بحثه بدرجة لا بأس بها من الثقة، ينبغي تحقيق نوعين من الصدق التجريبي، وهما المعياران الأساسيان لنجاح التجريب:

1) الصدق الداخلي للتجربة. وتؤثر فيه 10 عوامل، ينبغي التحكم فيها، وهي: (1) التاريخ. (2) النضج والعمليات الداخلية. (3) القياس القبلي. (4) أدوات القياس. (5) الارتداد الإحصائي. (6) الاختيار الفارقي للمفحوصين. (7) التسرب التجريبي. (8) تفاعل القياس وعوامل أخرى. (9) التنفيذ الفعلي للتجربة. (10) أثر هاوثورن أو اتجاهات المفحوصين أثناء التجربة. (شرحت الصدق الداخلي للتجربة والعوامل المؤثرة فيه بالتفصيل في الفصل الثامن من كتابي: المرجع في مناهج البحث النفسي الميداني).

2) الصدق الخارجي للتجربة. وهذا النوع من صدق التجربة هو الذي يتحدث الباحثون في إطاره عن تعميم النتائج من العينة إلى أصلها الذي سُحِبت منه. وهو ثلاثة أنواع من الصدق الخارجي أو ثلاثة مجالات للتعميم، وليس مجالا واحدا فقط. وهي كما يأتي:

1. الصدق الخارجي للأصل العام (أي تعميم نتيجة البحث من العينة على الأصل العام). وهنا يتساءل الباحث، هل النتيجة التي حصلت عليها من بحث أجريته على عينة، سوف تكون النتيجة نفسها لو أجريت البحث نفسه على الأصل العام كله ؟

2. الصدق الخارجي البيئي (أي تعميم نتيجة البحث من البيئة التي أجري فيها إلى بيئة أخرى لم يجر فيها). وهنا يتساءل الباحث، هل النتيجة التي حصلت عليها من بحث أجريته على عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية في مدينة باتنة، سوف تكون النتيجة نفسها لو أجريت البحث نفسه على تلاميذ المدرسة الابتدائية في أحد مناطق الريف بولاية باتنة ؟

أو يتساءل، فيقول: هل النتيجة التي حصلت عليها من بحث أجريته على عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية في مدينة الجزائر، سوف تكون النتيجة نفسها لو أجريت البحث نفسه على تلاميذ المدرسة الابتدائية في مدينة غرداية ؟

3. الصدق الخارجي للعمليات (أو صدق التكوين الفرضي). ويتعلق هذا التعميم بالقياس النفسي، أي مدى كفاءة أداة القياس التي تم استعمالها في جمع البيانات من أفراد العينة التجريبية، ومن ثم صدق التعريف الإجرائي لمتغيرات البحث. و اتساقه مع التعريف التأسيسي لنفس متغيرات البحث، وهنا يتساءل الباحث، هل النتيجة التي حصلت عليها من بحث استعملت فيه مقياس سبلبرجر لقلق الامتحان لدى تلاميذ التعليم الثانوي، سوف تكون النتيجة نفسها لو أجريت البحث نفسه على تلاميذ التعليم الثانوي باستعمال مقياس آخر يقيس قلق الامتحان ؟ (شرحت هذا أيضا بالتفصيل في الفصل الثامن من كتابي: المرجع في مناهج البحث النفسي الميداني).

التنبــؤ بــدلا مــن التعميــم

ما رأيكم، أن نتخلى عن مسألة التعميم التي تبين أنها لن تتحقق أبدا، وليست ذات فائدة. ونتحدث بدلا من ذلك عن "التنبؤ" الذي هو أحد أهداف العلم. فكل علم مما أنتجه العقل البشري، وليس علم النفس، فقط، يسعى إلى تحقيق أربعة أهداف، هي: (1) الوصف. (2) التفسير. (3) التنبؤ. (4) التحكم. إن "التنبؤ"، يجعل الباحث يطرح السؤال التالي: هل النتيجة التي تم الحصول عليها من بحث خاصية معينة

في نفس الموضوعات التي بدؤوها، فبنوا صروحا لنظريات علمية راقية وجيدة

إن الرأي السديد في مجال البحث العلمي، هو أن يستمر الباحث في دراسة مشكلة واحدة، ببحوث كثيرة متواترة، يضيف نتائجها إلى بعضها البعض

أحسم الأمر هنا، فأقول: إن عملية التعميم التي ينشغل بها الباحثون في علم النفس، ويتحدثون عنها باهتمام شديد، لا تتعلق بكل أنواع مناهج البحث النفسي، بل بالمنهج التجريبي فقط

فكل علم مما أنتجه العقل البشري، وليس علم النفس، فقط، يسعى إلى تحقيق أربعة أهداف، هي: (1) الوصف. (2) التفسير. (3) التنبؤ. (4) التحكم

إن "التنبؤ"، يجعل الباحث يطرح السؤال التالي: هل النتيجة التي تم الحصول عليها من بحث خاصية معينة لدى عينة ذات خصائص محددة، يمكن التنبؤ بها لدى أفراد آخرين لهم نفس خصائص عينة البحث ؟

إن السؤال، حول التنبؤ، هنا، يثير مشكلة بحثية أخرى، مما يجعل البحث يتواصل

إن تعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام، ليس له أولوية في

لدى عينة ذات خصائص محددة، يمكن التنبؤ بها لدى أفراد آخرين لهم نفس خصائص عينة البحث ؟ إن السؤال، حول التنبؤ، هنا، يثير مشكلة بحثية أخرى، مما يجعل البحث يتواصل، لكن عملية التعميم تفترض مباشرة أن النتيجة التي تم الحصول عليها من بحث على عينة من الضروري تعميمها على أصلها العام، وهنا يتوقف البحث.

أعيد الحديث عن الأمثلة الثلاثة التي وردت في بداية هذه الورقة (المقال).

1. إن الباحث الذي تبين لـ أن سبب استمرار التبول اللاإرادي لدى طفل رغم نضجـ في هذه الوظيفة البدنية (عمره 4 سنوات زمنية)، كان بسبب غيرتـ من أختـ الرضيعة، يسأل: هل هذه النتيجة التي توصلت إليها، تكون هي نفسها لدى جميع الأطفال الذين أعمارهم 4 سنوات زمنية، وما زالوا لا يستطيعون التحكم في عملية التبول لديهم ؟

2. والأمر نفسـ بالنسبة للباحث الذي تبين لـ أن نجاح التلميذ في نهاية السنة الدراسية، وفشل تلميذ آخر، سببـ هو الفرق في عدد الساعات المستغرقة في المذاكرة يوميا. سوف يسأل، هو أيضا: هل هذه النتيجة التي توصلت إليها، تكون هي نفسها لدى تلاميذ آخرين يتفاوتون في عدد الساعات التي يستغرقونها يوميا في مذاكرة دروسهم ؟

3. والأمر نفسـ، كذلك، بالنسبة للباحث الذي وجد من خلال نتائج البحث، أن الإناث أكثر شعورا بالسعادة مقارنة بالذكور، سوف يسأل، هو أيضا: هل هذه النتيجة التي توصلت إليها، تكون هي نفسها لو واصلت البحث في نفس الموضوع، أو في نفس المشكلة على عينات أخرى في مدينة باتنة ؟

وأحسم الأمر هنا بالنسبة للمثال الأول. فأقول: لنفرض أن الباحث عثر، بعد بذلـ لجهد مثمر، على 100 طفل يتبوّلون لاإراديا، ولنفرض، أيضا، أنـ وجد أن 99 طفلا منهم كان سبب استمرارهم في التبول اللاإرادي هو غيرتهم من أخواتهم الرضيعات، فإن هذا الباحث يجب عليـ أن يكون حذرا جدا قبل أن يتخذ القرار بتعميم نتائج 99 طفلا على طفل واحد الذي هو (رقم 100)، يتسم بنفس خصائص زملائـ (99). والأمر نفسـ بالنسبة للمثالين الآخرين.

وهكذا ينبغي أن يكون مسار العلم من خلال البحث فيـ.

الخلاصـــة

1. إن تعميم النتائج من العينة إلى الأصل العام، ليس لـ أولوية في البحوث العلمية النفسية.
2. إن الذي يهم في البحث العلمي هو مدى اتفاق نتائج الدراسة مع نتائج دراسات أخرى، أو عدم اتفاقها،
3. إن الذي يهم هو ما الذي يضيفـ البحث أو يؤكده أو يرفضـ أو يعدلـ، بالنسبة لنتائج البحوث السابقة لنفس المشكلة.
4. تكمن قوة نتائج البحث ليس بتعميمها بل إذا كانت نتائجـ تتفق مع نتائج بحوث أخرى، سابقة وحالية، في نفس المشكلة، بغض النظر عن حجم العينة.
5. يمكن التعميم عندما تكون الدراسة تجريبية حاسمة، ولكن مع ذلك بحذر شديد.
6. ينبغي عدم إهمال الفروق البيئية والثقافية لمجتمع البحث وعينتـ، في بحث أجري على مخاوف الأطفال في الحضر والريف، تبين من نتائجـ أن أطفال المدن يخافون بالدرجة الأولى من الحيوانات، بينما أطفال الريف يخافون الظلام والناس.
7. يأتي التعميم والاستفادة من نتائج بحوث أجريت على الحيوان (نظريات التعلم).
8. في البحوث النفسية الميدانية، تفيد العينات من فرد إلى مليون فرد وأكثر من ذلك، إذا استعملت بمنهج علمي ملائم وصحيح.
9. إن النتائج التي يتم الحصول عليها من بحث ميداني سيكومتري أجري على 5 أفراد، لا ترفض، بحجة أنها لا يمكن تعميمها على الأصل العام للبحث،
10. ينبغي النظر إلى نتائج بحوث عيناتها صغيرة من حيث مدي اتساقها مع نتائج بحوث أخرى في نفس

البحوث العلمية النفسية

إن الذي يهم في البحث العلمي هو مدى اتفاق نتائج الدراسة مع نتائج دراسات أخرى،

أو عدم اتفاقها

يمكن التعميم عندما تكون الدراسة تجريبية حاسمة، ولكن مع ذلك بحذر شديد

إن النتائج التي يتم الحصول عليها من بحث ميداني سيكومتري أجري على 5 أفراد، لا ترفض، بحجة أنها لا يمكن تعميمها على الأصل العام للبحث

إن الذي يدعم نتائج بحث ما، ليس هو مدى قابليتها للتعميم من العينة على الأصل العام، بل مدى اتفاقها مع نتائج بحوث أخرى في نفس الموضوع

ينمو العلم إذا اتفقت نتائج دراسات عديدة على نفس النتيجة على عينات عديدة، دون التفكير في تعميم النتائج على الأصل العام

إن التعميم يكون بمرور الزمن، عندما يتم التحقق من نتائج البحوث واتفاقها في نتائجها المتواترة. ومع ذلك بحذر شديد. فالعلم كله، ما زال مجرد أطروحة (أي أقل من الحقيقة)، يحتاج إلى المزيد من البحث، وباستمرار.

الموضوع، وتضاف إليها إذا كانت تتسق معها ليتعززبذلك النسق النظري في موضوع البحث.

11. إن الذي يدعم نتائج بحث ما، ليس هو مدى قابليتها للتعميم من العينة على الأصل العام، بل مدى اتفاقها مع نتائج بحوث أخرى في نفس الموضوع، هذا ما ينبغي أن يهتم به الباحث العلمي الجاد والمجتهد.

12. وبعد أن تظهر النظرية ويتم تدعيمها ببحوث كثيرة متسقة في نتائجها وتنمو، عندئذ يمكن التفكير في تعميم ما تم التحقق منها علميا، لكن من خلال إجراء بحوث أخرى تدعى البحوث التطبيقية، وبحوث أخرى تدعى البحوث التأكيدية.

13. ليس لكل عينة (إذا صح أن نسميها عينة) مجتمع ينبغي أن تعمم عليه نتائج البحث.

14. لا تهدف كل البحوث إلى تعميم نتائجها على مجتمع البحث.

15. ليس لكل مناهج البحث النفسي نفس أحجام العينات.

16. ليست أحجام العينات هي التي تبني العلم أو تهدمه.

17. هناك أفراد، وبسبب خصائص نوعية يتميزون بها، يكونون قليلي العدد في المجتمع.

18. العلم لا تصنعه عينة واحدة مهما كان حجمها.

19. لا ينمو العلم بتعميم نتائج من العينة إلى الأصل العام.

20. ينمو العلم إذا اتفقت نتائج دراسات عديدة على نفس النتيجة على عينات عديدة، دون التفكير في تعميم النتائج على الأصل العام.

21. إن التعميم يكون بمرور الزمن، عندما يتم التحقق من نتائج البحوث و اتفاقها في نتائجها المتواترة. ومع ذلك بحذر شديد. فالعلم كله، ما زال مجرد أطروحة (أي أقل من الحقيقة)، يحتاج إلى المزيد من البحث، وباستمرار.

22. إن التعميم يقوم على مجرد استدلال واستنتاج من معلومة، وهناك فرق بين المعلومة والاستنتاج. فالمعلومة هو القول، مثلا، إن الشخص "س" موجود. أما الاستنتاج أو الاستدلال، مثل القول: إن الشخص "س"، سيكون هنا بعد ربع ساعة، لأن هذا هو الوقت الذي يصل فيه، وهنا نلاحظ أن الشخص "س" عند استعمال الاستنتاج قد يصل وقد لا يصل، فكذلك الأمر في البحث النفسي، هناك معلومة وهي النتيجة على العينة، أما الاستنتاج فهو أن نتيجة العينة هي نفسها نتيجة البحث على المجتمع لو تم بحث كله. وهنا قد يكون الاستنتاج صادقا أو ليس صادقا.

ملاحظة هامة.

مَن يعمل بما ورد فيما سبق من هذه الورقة من الباحثين في علم النفس في الجامعات الجزائرية ؟ لا أحد. لماذا ؟ تابعوا، والذي سوف أقوله تعرفونه، ولكني سأذكركم به.

هناك ثلاثة مراحل يمر بها الباحث النفسي الجزائري، والباحث غير النفسي، أيضا. ابتداء من التحاقه بالجامعة.

1. المرحلة الأولى: يبذل فيها جهودا للحصول على الشهادات (الليسانس، الماجستير/ الماستر، الدكتوراه).

2. المرحلة الثانية: يبذل فيها جهودا للحصول على الترقيات (أستاذ مساعد، أستاذ محاضر، أستاذ التعليم العالي).

في المرحلتين السابقتين، لا يبذل أي جهد لكي يأخذ بعين الاعتبار بما ورد في هذه المقالة، لأنه واقع تحت ضغط الحصول على الشهادات، والحصول على الترقيات.

3. المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة التي يكون قد تخلص فيها من ضغوط المرحلتين السابقتين، وصار متفرغا للبحث العلمي الهادف والعميق والهادئ، إلا أنه يتوقف نهائيا عن ممارسة البحث العلمي، ويكمل مساره المهني (صفر بحث)، على غرار (صفر ورقة).

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Mammria-FieldPsyResearch.pdf

****** ******* ******

إن التعميم يقوم على مجرد استدلال واستنتاج من معلومة، وهناك فرق بين المعلومة والاستنتاج

مَن يعمل بما ورد فيما سبق من هذه الورقة من الباحثين في علم النفس في الجامعات الجزائرية ؟ لا أحد. لماذا ؟

هناك ثلاثة مراحل يمر بها الباحث النفسي الجزائري، والباحث غير النفسي، أيضا. ابتداء من التحاقه بالجامعة

المرحلة الأولى: يبذل فيها جهودا للحصول على الشهادات (الليسانس، الماجستير/ الماستر، الدكتوراه).

المرحلة الثانية: يبذل فيها جهودا للحصول على الترقيات (أستاذ مساعد، أستاذ محاضر، أستاذ التعليم العالي).

في المرحلتين السابقتين، لا يبذل أي جهد لكي يأخذ بعين الاعتبار بما ورد في هذه المقالة، لأنه واقع تحت ضغط الحصول على الشهادات، والحصول على الترقيات

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

المجلة العربية " نفسانيات" (مجلة محكمة في علوم وطب النفس)

محاور ملفات الاعداد القادمة

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf

العدد القادم: 78 – صيف 2023

الملف: الادمان، مقاربة من منظور مختلف "

اشراف: حمدي فؤاد عبد اللطيف المصلحي

ترسل الاعمال بالتزامن الى بريد كل من المشرفة على العدد والى بريد الشبكة

hamdy.moselhy@hotmail.com - arabpsynet@gmail.com

أخر أجل لقبول المشاركة بالأعمال العلمية 15 سبتمبر 2023

مجلة " بصائر نفسانية" (مجلة المستجدات العربية في علوم وطب النفس)

محاور ملفات الاعداد القادمة

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Bassaaer-NextTopics.pdf

العدد القادم 43 – خريف 2023

الملف: " العلاجات النفسانية من منظور نظرية الطب النفسي التطوري الإيفاحيوي" للاستاذ يحيى الرخاوي"

المشرفون على الملف:

د. وليد خالد عبد الحميد (الطب النفساني – العراق / انكلترا)

د. محمد يحيى الرخاوي (علم النفس – القاهرة، مصر)

wabdulhamid1@gmail.com - morakhawy@gmail.com - arabpsynet@Gmail.com

أخر أجل لقبول الاعمال (30 اكتوبر2023)

جائزة البحث العلمي سداد جواد التميمي

لشبكة العلوم النفسية العربية 2023

العام 2023 : مختصة في الطب النفساني

دعوة للترشح للجائزة

http://www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2023/APNprize2023.pdf

التكريم بلقب "الراسخون في علوم وطب النفس"

"مؤسسة العلوم النفسية"

تكرم العام 2024

شخصية طبنفسانية عربية

بلقب " الراسخون في علوم وطب النفس"

دعوة لترشيح شخصيات طبنفسانية

http://www.arabpsynet.com/Rassikhoun/Rassikhun2024/APN-Rassikhun2024.pdf